

أشد المذاهب ضلالاً في فائدة العبادة والحكمة منها:

- هناك أربعة مذاهب حول فائدة العبادة والحكمة منها أشدها ضلالاً وهو أن الإنسان مجبور، وليس له إرادة.
- أصحاب هذا المذهب قالوا: إنه لا فائدة من العبادة، ولا حكمة لها، وإنما تُفعَلُ لأن الله -جل في علاه- أرادها، ونحن نمتثل، وهم لا يفرقون بين **الإرادة الشرعية والإرادة الكونية.**



أشد المذاهب ضلالاً في فائدة العبادة والحكمة منها:

- مذهب الجبرية في العبادات قائم على أصل عقديٍّ ساقط والأصول العقدية تظهر عوارها وفسادها في أشياء كثيرة، وهذا الظهور قد يكون باللازم الذي لا ينفك؛ لأن لازم المذهب الذي يقبل الانفكاك عند أهل العلم ليس بمذهب.

- الله هو الآمر، ونحن نمتثل الأمر، والحسن والقبح سمعي جاء وفق ما جاء في السمع، وفق ما جاء في النقل، والعقل ليس له دور في التحسين والتقبيح، فالله هو الآمر فقد يثيب الكافر، وقد يرسل نبيًّا دَعِيًّا، وقد يعذب المؤمن، فالأمر خالص لله، والعقل ليس له دور في ذلك.



أفعال العباد بين مذهب المعتزلة وبين مذهب أهل السنة:

- يقولون: ليس لله -عز وجل- إرادة في أفعالنا، ونحن الذين نخلق أفعالنا.
- المخلوق هو الذي يخلق أفعاله، وخلقه لأفعاله بإرادة ومشيئة مستقلة عن إرادة الله ومشيئته، وأهل السنة يقولون: نحن نثبت أن للإنسان إرادة، ولكن إرادة الله الغالبة، وإرادة الإنسان ليست إرادة مستقلة، وإنما هي إرادة، وإرادة الله فوقها، والذي شاءه الله -عز وجل- لابد أن يكون.
- الحسن والقبح عند هؤلاء ليس من السمع، وإنما هو من العقل، وهم يوجبون على الله أن يثيب بالطاعة، وأن يعذب العاصي، وهذه قلة أدب منهم مع الله -عز وجل-، ويوجبون على الله أن يفعل الأصلح.

أفعال العباد بين مذهب المعتزلة وبين مذهب أهل السنة:

- أهل السنة يعتقدون بخلق أفعال العباد، وأن أفعل العبادِ اللهُ هو الذي خلقها، وقد ألف الإمام البخاري كتابًا مطبوعًا سماه: (خلق أفعال العباد)، الله الذي خلق أفعال العباد، وهو الله أوجزها في سورة الصافات: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}.
- أهل السنة كان قولهم وسطا بين القولين قول المعتزلة وقول الجبرية؛ أخذوا الحق من المذهب الأول، والحق من المذهب الثاني، وداروا مع النصوص الشرعية ففيها الحق، وخلّصوا الحق من بين فرث ودم لبنًا خالصا سائغا للشاربين.

وجه تشبيه القدرية بالمجوس:

- القدرية النفاة أي نفاة قدر الله، يقولون نحن نخلق أفعالنا، ولا صلة لله -عز وجل- بأفعالنا.

- وهؤلاء الذين سماهم النبي -صلى الله عليه وسلم- أو ابن عباس **مجوس** هذه الأمة، ورجحنا أن هذا قول ابن عباس، وليس حديثا للنبي -صلى الله عليه وسلم-، من حيث الصنعة الحديثية.

- **المجوس** يؤمنون بإلهين إله خير وإله شر، والقدرية يثبتون أننا نخلق، فكأنهم يثبتون بذلك إلهين، لأن الذي يخلق هو الله فقط، ولذا سموا: (مجوس هذه الأمة) بالآثار.



مذهب بعض الصوفية في العبادة:

- نحن نفعل العبادة محبة لله، لا نبالي بالثواب، ولا نبالي بالعقاب، ولا نعبد الله خوفًا وطمعًا.
- هؤلاء لا يعرفون الرجاء ولا الخوف في عباداتهم لله -عز وجل-، وقالوا: "إنما نفعل العبادة من أجل رياضة النفس، وتوقيفها على الامتثال لأمر الله -سبحانه وتعالى-".

تأثير مذهب بعض الصوفية على مفهوم النبوة:

- بعض هؤلاء زعموا أن العبادة تُفعَل للترويض، وزعموا أن النبوة مكتسبة، فمن الممكن أن تعبد الله وتصير نبيًّا!

- بعضهم زعم أن بعض الأولياء بسبب مجاهدتهم وترويضهم لأنفسهم خير من الأنبياء، ولذا ينقلون عن بعض أئمتهم قالوا: (خضنا بحارًا وقفت الأنبياء في ساحلها، عرفنا الله أكثر مما عرفه الأنبياء)!!

- بعضهم يُفضِّل الولي على النبي، وبعضهم يستدل بقصة الخضر وموسى، يقول: الخضر ولي وموسى -عليه السلام- نبي، وكان موسى تلميذا عند الخضر، بالقصة المذكورة في سورة الكهف.

موقف أهل السنة من الخضر عليه السلام وتعاليمه:

- قال أهل السنة ما قاله ابن المنادي، قال: «القول بنبوة الخضر تحل عقدة من الزندقة»، تأمل سورة الكهف تجد أن الخضر نبي، وله شريعة، ولموسى شريعة، والله -عز وجل- لما أرسل الرسل فهم متفقون في الأخبار عن الله -عز وجل-، ولذا نحن نثبت لله -جل في علاه- كل خبر وصلنا عن أي نبي من أنبياء الله.

- الأوامر والنواهي فنحن متبعون محمدًا -صلى الله عليه وسلم- دون سواه، والذي أنزله الله على غيره حق، لكنه حق لأقوامهم، وشريعتنا جاءتنا ناسخة للشرائع التي قبلها.



مذهب المعتزلة في مبدأ تشريع العبادات ومرجع الحكمة فيها:

- القدريّة النّفاة، الذين يثبتون نوعا من الحكمة، والتّعليل لا يقوم بالرّب ولا يرجع إليه، بل يرجع لمحض مصلحة المخلوق ومنفعته عندهم العبادات شرعت أثمانا لما يناله العباد من الثواب والنّعيم، وأنها بمنزلة استيفاء الأجير أجره.

- هؤلاء يثبتون حكمة مرادة ومحبوبة إلى الله -عز وجل-، ولكن هذه الحكمة تعود إلى العباد ومصالحهم، يعتقدون أن الإثابة على الطاعات فعل واجب على الله -عز وجل-، وليست تفضلا منه، وإنما القضية قضية معاوضة ومثامنة، والله يجزيك بمقدار ما فعلت فقط.
- أمر الله -عز وجل- وإثابة العبد عليه أنما هو جزاء وفاقا، وليس هو فضل من الله -سبحانه وتعالى-، والله يجازيك كما يجازي الأجير الذي يعمل عنده فقط، ولذا الأعمال هي ثمن الجنة.

الجمع بين تعارض دخول الجنة بالعمل وبين عدم دخولها بالعمل:

- الله -عز وجل- يقول: {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}، فدخول الجنة بأعمالهم، والنبي –صلى الله عليه وسلم- يقول: «لن يدخل أحدكم الجنة بعمله» فالظاهر متعارض.

- الباء هي الفيصل في قوله: {بما كنتم تعملون}، «ولن يدخل أحدكم الجنة بعمله» والعرب تذكر الحرف الواحد وله عدة معانٍ، فالباء في الآية سببية، غير الباء في الحديث بمعنى المعاوضة، ولذا لا تعارض.
- **أهل العلم يقولون:** الأعمال الصالحة سبب لدخول الجنة، لكن هي ليست ثمنا للجنة.

- ومنهم من قال أن الأعمال سبب دخول الجنة، وسبب على حسب منزلتك بالجنة، الجنة الناس فيها على منازل، أنت تدخل بفضل الله ورحمته، ومنزلتك في الجنة على حسب عملك، وإنما دخولك الجنة إنما هو فضل من الله ورحمة.

الفرق بين قول القدرية وبين قول أهل السنة في مبدأ دخول الجنة:

- الفرق بين قول القدرية وبين قول أهل السنة: الجنة عند القدرية معاوضة، والعمل معاوضة لدخول الجنة، أما عند أهل السنة العمل سبب لدخول الجنة.

- مثال على الفرق بين القولين: لما تدخل المنتزه أو حديقة حيوان تدخل بتذكرة تدخل تقول هذه لي، وتطرد الموجودين وتفعل ما شئت في الحديقة، إذا كان الأمر كذلك، فهذا ثمن، وأما إذا كانت التذكرة فقط هي سبب للدخول وليس لك أن تملك شيئًا فيها، وليس لك أن تطرد أحدا فيها، ولا أن تغير، ولا أن تبدل.

ما يحتج به القدرية على أن دخول الجنة يكون لأجل المعاوضة بالعمل:

- كقوله: {وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}، {هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}، {ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}، {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}.
- وفي الصحيح: "إنّما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثمّ أوفيكم إيّاها". قالوا: وقد سماها جزاءً وأجرًا وثوابا لأنه شيء يثوب إلى العامل من عمله، أي: يرجع إليه.
- قالوا: إذا دخول الجنة بالأعمال وهي عوض وثمن، فالأعمال من الإنسان بمشيئة مستقلة، ويجب على الله أن يدخلنا الجنة، ودخولنا الجنة من جزاء أعمالنا، وليس منة وفضلا من الله تعالى.

موقف أهل السنة مما احتجت به القدرية على أن دخول الجنة يكون معاوضة للأعمال:

- أهل السنة يقولون: الباء سببية، وليست معاوضة، ودخولنا الجنة إنما هو فضل من الله ورحمة.
- ورد في الأحاديث الصحيحة الصريحة إنما هو بفضل من الله -عز وجل- ورحمة، والسبب عمل.
- الله جل في علاه يضاعف الأعمال، فالله من أسمائه الشكور، تفعل القليل والله يجزيك الكثير، هذا هو معنى الشكور، عملُك قليل والله يجزيك الكثير.
- الذي يعمل ويصدق الله -عز وجل- ولو في أواخر حياته، فالله يخلده في الجنة، فخلودنا في الجنة هو فضل من الله ورحمة، وليست مقابل معاوضة.

موقف أهل السنة مما احتجت به القدرية على أن دخول الجنة يكون معاوضة للأعمال:

- لو كان الأمر معاوضة لتنعمنا في الجنة بمقدار ما عملنا.
- «إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم، ثم أوفيكم إياها» وقد سماها جزاء وأجرًا وثوابًا؛ لأنه شيء يثوب إلى العامل من عمله، فعل يثوب مرده إلى الرجوع، كما قال الله -عز وجل-: {إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ}، كلما زاروا البيت رجعوا إليه، فمعنى مثابة للناس، أن الناس يزورون البيت ولكن كلما فرغوا من زيارة البيت يرجعون إلى زيارته مرة أخرى، ولذا كان الذهاب لبيت الله -عز وجل- مثوبة.
- **الباء المثبتة** التي وردت في القرآن هي باء السببيّة، ردًّا على القدريّة الجبريّة الذين يقولون: لا ارتباط بين الأعمال وجزائها، ولا هي أسباب لها، وإنما غايتها أن تكون أمارة.
- **السنّة النبويّة** هي: أن عموم مشيئة الله وقدرته لا تنافي ربط الأسباب بالمسببات وارتباطها بها.



الفرق بين المذاهب في ارتباط الأعمال بالجزاء:

- **الجبريّة:** لم تجعل للأعمال ارتباطا بالجزاء البتّة، وجوّزت أن يعذّب الله من أفنى عمره في الطّاعة، وينعّم من أفنى عمره في مخالفته، وكلاهما سواء بالنسبة إليه، والكل راجع إلى محض المشيئة.
- **القدرية:** أوجبت عليه سبحانه وتعالى رعاية المصالح، وجعلت ذلك كله بمحض الأعمال، وأن وصول الثواب إلى العبد بدون عمله فيه تنقيص باحتمال منّة الصدقة عليه بلا ثمن، فجعلوا تفضّله سبحانه وتعالى على عبده بمنزلة صدقة العبد على العبد، وإعطائه ما يعطيه أجرةً على عمله، أحبّ إلى العبد من أن يعطيه فضلاً منه بلا عمل، ولم يجعلوا للأعمال تأثيرًا في الجزاء البتّة.



الفرق بين المذاهب في ارتباط الأعمال بالجزاء:

- **أهل السنة:** الأعمال أسباب موصلة إلى الثواب، والأعمال الصّالحات من توفيق الله وفضله، وليست قدرًا لجزائه وثوابه، بل غايتها إذا وقعت على أكمل الوجوه أن تكون شكرًا على أحد الأجزاء القليلة من نعمه سبحانه وتعالى، فلو عذّب أهل سماواته وأهل أرضه لعذّبهم وهو غير ظالمٍ، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرًا من أعمالهم.



مبدأ انحراف أهل الباطل وتقويم أهل السنة لمقالاتهم:

- كل طائفة من أهل الباطل تركت نوعا من الحق فإنها ارتكبت لأجله نوعًا من الباطل، بل أنواعًا.
- ما من فريق إلا من معه حق وباطل، ونحن نساعد كل فريق على حقه ونصير إليه، ونبطل ما معه من الباطل ونرده عليه، فنجعل حق الطائفتين مذهبًا ثالثا.
- ذكر ابن القيم في "الصواعق المرسلة" جميع الفرق التي ظهرت في تاريخ الأمة الإسلامية ورد أنَّ جميع الفرق الضالة التي ظهرت في تاريخ الأمة مردها إلى أنهم قدموا العقل على النقل.

تعلق العطاء والحساب بالنوايا:

- الله يعلم السر وأخفى، والله يعلم النفوس، ومن زكى نفسه، ومن دساها، والله يحاسب ما في القلوب على ما في النوايا، والله يحاسب ببواطن الأمور لا بظواهرها.
- المطيع إن عبد الله سبعين سنة أو مئة سنة، الله يخلده في الجنة؛ لأن الله يعلم من قلبه أنه لو خُلِّد على الأرض لبقي على صلاحه، ولذا الله يعامله بنيته.
- الأعمال القلبية في الشريعة أوسع من الأعمال البدنية، فرب شهيد يموت في المعركة وهو في النار، ورب إنسان يموت على فراشه ويحشر مع الشهداء.
- قالوا حديث: **«إنما أعماله بالنيات»** دخل في كل باب من أبواب الشريعة.

قياس القدرية الخالق على المخلوق في الجزاء:

- القدرية يقيسون الخالق على المخلوق، يقولون: عملت لك كذا، كالمستأجر مع الأجير، أنا فعلت العمل يجب أن تعطيني الأجر.

- يقال لهم: ممكن واحد يعمل عملا شديدا ثم في الحديث: «وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة»، زاد مسلم في الحديث قال: «فيما يظهر للناس»، هو يعمل بعمل أهل الجنة فيما ظهر لك، «ثم يسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها».



معرفة قدر النعم من الله تعالى:

- الأعمال الصّالحات من توفيق الله وفضله، وليست قدرًا لجزائه وثوابه، بل غايتها إذا وقعت على أكمل الوجوه أن تكون شكرًا على أحد الأجزاء القليلة من نعمه سبحانه وتعالى، في سنن أبي داود يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم».
- {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا} تشعر بالنعمة عندما تفقدها، لذا قالوا: النعمة (ومنها الصحة) تاج على رؤوس المرضى، فلما يمرض الإنسان يعرف النعمة.

معرفة قدر النعم من الله تعالى:

- {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ}، ظلوم على وجه المبالغة، وكفار على وجه المبالغة، كفار للنعمة، الإنسان ظلوم، ظالم لنفسه.
- شكرك للنعمة نعمة، الله يلهمك أن تشكر نعمته عليك هذه نعمة، فأنى لك أن تشكر نعم الله -عز وجل-، فنعم الله -عز وجل- لا تحصى.
- العباد لا يستطيعون ألبتة، أن يقوموا بشكر الله -عز وجل- على نعمه، لذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول في سجوده في دعائه: «اللهم أني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».



معرفة قدر النعم من الله تعالى:

- «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»، الثناء تكرار الحب، تكرار الفضل، الحمد والفضل إن كررته مرة تلو المرة تلو المرة، يصبح هذا الحمد ثناء.
- يقول: «لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»، هذا حال النبي -صلى الله عليه وسلم-، الذي كان يقوم الليل ونصفه أو ثلثه، فكيف لنا أن نخاطب ربنا ونقول له: واجب عليك أن تدخلنا جنتك، وأنت يا الله أوجدتنا وأكرمتنا وتفضلت علينا، وعرفتنا بك، فهذا الكلام عقلي محض، وتنظير لا صلة له بالعمل، بل هو في الخيال ليس له صلة بواقع الإنسان.



امتناع التناقض في نصوص الشريعة:

- لا يوجد في الشريعة بين الكتاب وصحيح السنة تعارض، ولا تناقض، وكل شيء في الشريعة يظهر منه التعارض، لابد من وجود نص في الشريعة يجمع بين الأمرين.
- **فرق بين التعارض والتناقض:** أما التناقض من كل وجه، فهذا أمر مستحيل في الشريعة، أما التعارض، فمن وجه دون وجه، فالتعارض موجود، وأغلب التعارض في الشريعة، يوجد في الشريعة نفسها نصوص موضحة ترفع هذا التعارض.
- يختص **رفع التعارض** بالعلماء الذين يعرفون مراد الله ومراد نبيه -صلى الله عليه وسلم- وكان إمام الأئمة أبو بكر ابن خزيمة ينادي في دروسه يقول: لا يوجد في الشريعة تعارض، ومن كان عنده تعارض فليأتني به، فأنا أحله.



امتناع التناقض في نصوص الشريعة:

- الشنقيطي محمد الأمين -رحمه الله- المفسر الكبير صاحب **«أضواء البيان»** برهن على هذه الحقيقة بتأليف كتاب سماه **«دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب»**، والكتاب مطبوع، وألفه دون أي مرجع، مسودة المؤلف، ما كان عنده كتب.
- قال: اعتكفت في المسجد النبوي في شهر رمضان بطوله، وعنَّ لي أن أكتب دفع إيهام الاضطراب، وأنا في المعتكف، وقرأ القرآن ثم أتى بآية أو بحديث يرفع التعارض.



امتناع التناقض في نصوص الشريعة:

- قال: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} نص صريح في أننا نرى ربنا، ثم وجد في القرآن أيضا: {لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ} الآية لا تدل على نفي الرؤية، تدل على أثبات الرؤية، لكن لا نستطيع بعقولنا أن ندرك ربنا، ثم ذكر حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- في الصحيحين: «سترون ربكم لا تضامون في رؤيته كما ترون هذا القمر» نرى القمر دون إدراكه كله.
- التعارض يكون أحيانًا كما هنا في الحديث الذي معنا، تكون الآية على محل، والحديث على محل آخر، فإذا أثبت شيئا باعتبار معين، ثم نفيت هذا الشيء باعتبار آخر غير الأول، فهذا الإثبات والنفي ليس فيه تعارض.



تحقيق القول في التحسين والتقبيح:

- الأصل في النقل والعقل، أنهما متوائمان، وليسا متقابلين، فلا تعارض بينهما، فالعقل الصريح لا يناقض النص الصحيح، وإذا وُجد تعارض فإنما التعارض يكون فيما يبدو لك، عقل صريح مع نقل صحيح لا يتعارضان أبدا.
- جعل **المباينة الكاملة** بين الأسباب والمسببات، أو الاعتماد الكامل على الأسباب والمسببات، هذا خطأ.
- الحسن والقبح يدركان بالعقل ولكن ذلك لا يستلزم حكما فعل العبد، بل يكون الفعل صالحًا لاستحقاق الأمر والنهي والثواب والعقاب من الحكيم، الذي لا يأمر بنقيض ما أدرك العقل حسنه.



تحقيق القول في التحسين والتقبيح:

- الله لا يأمر إلا بما أدرك العقل حسنه، أو ينهى عن نقيض ما أدرك العقل قبحه، لأن ما أدرك العقل حسنه أو قبحه راجح، ونقيضه مرجوح، بمعنى أن صفة الحسن في الفعل ترجح جانب الأمر على جانب الأمر بنقيضه القبيح، وصفة القبح في الفعل ترجح جانب النهي عنه، على جانب النهي عن نقيضه الحسن.
- الترجيح يكون عملا في ذلك بمقتضى الحكمة، التي هي صفة من صفات الله تعالى، فلا حكم إلا من الخطاب الشرعي، والعقل يدرك حسن هذا الخطاب، ويدرك قبح ذاك النهي.



تحقيق القول في التحسين والتقبيح:

- القول بإدراك العقل للمصالح والمفاسد، لا يعني أن العقل يدرك ذلك إدراكا تامًا مطلقًا، فقول: بل غاية العقل أن يدرك بالإجمال حسن ما أتى به الشرع، والشرع يأتي بالتفصيل قبحًا وحسنًا.
- العقل يدرك حسن العدل، وأما الكون هذا الفعل المعين عدلا أو ظلما، فالعقل لا يعجز عن إدراك ذلك في كل فعل وعقل من العقول، اعرض بعض العقول على بعض، العقول منهم من يستقبح، ومنهم من يستحسن، فالعقل لا يدرك القبح بالتفصيل في كل شيء.